

هل يعاقبنا الله من القرن الأول إلى اليوم ؟ - الجزء الأول .

يظهر لي أن الله يعاقبنا من القرن الأول، ولكن لأن فينا نفاقاً أو ورثنا النفاق فلا نفقه..

كأن الله يقول لنا : عودوا لكتابي وتدبروه ولا تتكبروا، واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، وليس ما تناسب مع أهوائكم، رضا الله لن تتركوه بالراحة. وإلا فما سر أننا خالفنا الدين والعقل والعرف والفطرة من القرن الأول، نلهث ونفرح بانتصارات عسكرية وقتية - كانت فتنة- ثم أردت علينا ولم نصح من القرن الأول ونحن متكبرون ولا نريد الاعتراف بالكبر ومخادعة الله ورسوله ومخادعة المؤمنين، فعاقبنا الله بهذه السطحية والفتن والبلاء والضنك.

طيب... فكروا معي الآن بهدوء، تصوروا لو أنه نزل وحي الآن يخبرنا بسبب تخلفنا وجهلنا وتنازعنا، فهل تظنون أن المسلمين سيسمعون ويفقهون أم يكابرون؟

بمعنى لو أن هذا الوحي الذي نزل اليوم ذكر مثلاً أن سبب كل شرورنا هم الصحابة مثلاً، هل سنصدق أم لا؟

سنفقه موطن ذلك الشر أم لا؟

هذا افتراض.

الجواب : لن نسمع، ولن نصدق، ولن نرتدع ... أتعرفون لماذا؟

لأن القرآن قد سجل على بعض الصحابة الشيء ذاته، لم يستجيبوا وبقوا على آرائهم، فأي فتنة أبلغ من أن يأتيك الوحي ولا تصدقه؟

أن يذم مجموعات ولا تصدقه؟

أن يأمرك بطاعة الرسول وتجد من يتناجى بمعصية الرسول؟

وهنا سؤالان وهما:

س ١ : ما هي تلك الآيات التي لم يصدقها بعض الصحابة؟

أو لم يلتزموا بها وبقوا يسارعون في معصية الرسول والتفقت عن الطاعة الصادقة؟

س ٢ : لماذا؟

لكن قبل الجواب، لا أقصد الصحابة خصيصاً، ذكرتها مثلاً، بمعنى لو نزل وحي اليوم ويقول: السبب في تخلفكم هو الحديث، أو الصحابة، أو الفتوح الخ..

بمعنى أن الأمور التي ملأت قلوبنا وعقولنا ومعلوماتنا ليس من السهل أن نتراجع عنها، لا الله ولا رسوله ولا العقل ولا أي شيء، وهذا من أغرب الأمور، بمعنى أن الصحابة مثلاً، في الضمير الداخلي هم أعظم من الله، كيف؟

العلماء، السلف، الفتوح... الخ.

هذه في القلب أعظم بكثير لماذا؟

هذا سر شيطاني، سنركز هنا على موضوع (الصحابة) لأنه الذي أنتج بقية الأمور:

هجروا القرآن فهجرناه، تركوا تأمل الكون فتركناه، اهتموا بالعسكرة فاهتمنا بها... هذه فتنة كبيرة جداً من القرن الأول، بل من أيام النبي ص وآله نفسه، وقد سجل القرآن هذا المرض الشيطاني في عشرات الآيات لكن لا نراها أبداً.

هؤلاء المتناجون صحابة شئنا أم أبينا، ولكن عقيدة براءة الصحابة كلهم من العقائد التي تمنع الإيمان بهذا، وهذه النجوى عمل شيطاني، وسيحمي أهلها، إذا فأخطر موضوع شيطاني هو عدم تصديق القرآن كما أراد الله، وإنما نصدق القرآن كأنه من عندنا وليس من عند الله، فنفهمه كما نشاء نحن لا هو، فعندما وصلنا إلى هذا الكبر (من العهد النبوي نفسه) وجادلنا عن

المنافقين من العهد النبوي) فما لكم في المنافقين فنتين (أراد الله عقوبتنا، فأملى لنا (للمجتمع المسلم) وأعطاهم الدنيا، وانشغلوا بها عن القرآن والمعرفة واكتشاف هذه المادة وعن الحقوق... الخ. ثم أعادهم أدلة كأول مرة، والآن نبحت عن مخرج.. ولا مخرج، الكل في ورطة لأننا نتكبر عن الحقائق الأولى، نكرهاها / لا نريدها، يعز علينا التخلي عما ألفنا عليه آباءنا وسلفنا.

هنا لم يظلمنا الله، هو ينتظر منا اعترافات تستحق أن ينتشلنا من هذا الوضع، لكننا نريد منه هو أن يتنازل عن أقواله في القرآن، عبادة للسلف.

وكذلك آيات كثيرة جداً مثل :

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] ((41)) سورة المائدة [٩]

هذه كيف نفهمها؟!

وكذلك سورة البقرة من قوله تعالى

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)) (سورة البقرة)

من هم هؤلاء؟

هذا المقطع في أول سورة البقرة فصل الله في تلك الفئة من آية ٨ إلى آية ٢٥. مقطع طويل جداً، لا نفق عنده! وكأننا نقول أن الله يبالغ، الموضوع هين، كيف تريدون من الله أن ينصرنا ولم ننصره (إن تنصروا الله ينصركم)، نحن ننصر المخادعين لله والذين آمنوا ولم ننصر الله بتصديق كتابه وتدبره.

نصف القرآن تقريباً لا يؤمن به المسلمون إيماناً حقيقياً، إما يحصرونه في فرد أو أفراد من الأنصار (مع أن أكثر الآيات نزلت قبل أن يسلموا)، أو يقتنعون أنفسهم بأن الله يبالغ، وأن هؤلاء مجموعة أفراد مساكين ليس لهم مشروع وليسوا خطرين على الدين وأهله، وإنما يحذر الله منهم هكذا فضول! بنو إسرائيل هلكوا لأنهم أخذوا ما أتاهم الله بضعف، وقد أمروا أن يأخذوه (بقوة).

ونحن سلطنا سبيل بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل، فذلك مكانك سر، لا تنتظروا عزة بعد أن ولت تلك العزة الظاهرية المؤقتة العسكرية التي كانت للظالمين أكثر منها للمؤمنين. انسوا أن يتيح الله لنا فرصة أخرى. الفرصة الأولى كانت مكرراً جميلاً من الله، تركنا للمخادعة والاعتماد على أنفسنا، إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، هذه الخدعة منه عقوبة..

حتى الجيل الأول لم يهنا بشيء.. بين مسموم ومقتول ومكبوت وفتن وتنازع وقتال... الخ. ليسوا كلهم مذنبين، لكن يمحص الله المؤمنين وليملي للظالمين.

هذا المقتول المظلوم تمحيص من الله له لتقصيره في أمر سابق، وهذا القاتل يعطيه الله إملأ ليزداد إثماً مع إثمه، المغرورون لا يفهمون الله، المغرورون -أتباع المنافقين - يظنون في كل انتصار مادي لهم أنه من عند الله، وأنه دليل على أن الله عنهم راضٍ! لا يعرفون سنن الله وأسراره ومكره.

تأملوا هذه الآيات في النجوى أيضاً

(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ] ((3)) سورة الأنبياء

الأنبياء وهي مكية!

فكيف نتدبرها، وهل لها علاقة بتلك، وهل الذين ظلموا إذا كان المراد بهم الكفار يسرون النجوى؟

أم أنهم يجهرون بتلك الآراء؟

وما معنى الحساب الذي اقترب؟

ومن هم الناس هؤلاء؟

الخ ..

الخلاصة

أتنا إلى الآن لم نصحُ بعد، الله ينتظر منا خطوة شجاعة بالاعتراف بأن الجيل الأول كانت فيهم سيئاتنا التي ورثناها منهم، ونحن نكابِر!

القرآن الكريم مليء بفرز الفئات الخبيثة من قلة طيبة، ونحن نكابِر قلنا: لا/ كلهم طيبون، عناداً واستكباراً ومضياً على سنة الأولين، هل أذكر الدليل، الدليل من أكثر من آية

1- مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

2- لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ.

3- قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ.

هذه الثلاث آيات - مع سياقاتها - تخبرك بأن الأكثر خبيث، ولذلك تكثر التسميات القرآنية لتلك الفئات: المنافقون، المرجفون، الذين في قلوبهم مرض، الكافرون والذين كفروا، المشركون والذين أشركوا، المتثاقلون. كما تكثر مستويات الطيب القليل - فالطيب قليل بطبعه - وهذه سنن الله في الأنبياء من قبل (ما كنت بدعاً من الرسل). وإذا لم ننتبه سنبقى في غفلة.

والدليل على أن الكثرة هي مستويات - ولكنها من قسم الخبيث - أن المؤمنين الصادقين قلة، أنه في وقت الشدة تبقى القلة كما في أحد وحنين وخيبر. بل الآيات تصرح بأن المؤمنين لم يؤمنوا بعد! بمعنى لم يؤمنوا إيماناً مطلوباً، وإن دخلوا في مسمى المؤمنين في طبقته أو في دائرته العامة.

تأملوا هذه الآيات ، افتحوا أسماعكم وعقولكم، فالله ينتظر منا أن نغير أنفسنا

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)

قفوا عندها قليلاً، يطلب من الذين آمنوا أن يؤمنوا بالله ورسوله؟

سؤال:

أولم يؤمنوا؟

بلى.. كإيماننا اليوم، لا نصدق الله فيما خالف فيه معتقداتنا. لو كانوا مؤمنين - كما يريد الله - لكان أمر الله لهم بالإيمان عبثاً، فاعرفوا مستويات اللفظة الواحدة في القرآن الكريم، وتعرف من السياق.

سنكمل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) يَشِيرُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُلِيقُوا فِي عَذَابِهِمْ عَذَابٌ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) سورة النساء]

=هذه من سورة النساء، وهي من أوساط المدني.

وقد استمر هؤلاء المؤمنون في موالاة الكفار والإصرار لهم..

فأي إيمان هذا؟

إذ تتكرر الأوامر القرآنية من أول القرآن إلى آخره بالنهي عن اتخاذ الكافرين أولياء، ثم يسجل الله عليهم التمرد على هذا الأمر.

اسمعوا ماذا نزل بعد هذا الأمر بدهر:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَقَفَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (3) سورة الممتحنة]

هذه الآيات نزلت في المهاجرين -ليست في جميعهم - وقد كررنا أنه إذا خوطب ذلك الجيل لابد من فئة، ولا يمكن حصره في شخص، لا سيما مع القرائن . هذه الآيات من سورة الممتحنة لا نصدقها للأسف، نقول كلا، لم يكونوا يسرون بالمودة يا رب / أنت تبالي، إنما هي في حاطب فقط ولم يسر بمودة.

هكذا !

وهكذا أدى بنا عبادة السلف الذي جعلناه صالحاً رغماً عن هذه الآيات .. إلى الكفر بنصف القرآن تقريباً، فنصف القرآن يدور على هذا، من المكي والمدني، هذا القرآن ليس البخاري ولا الكليني ولا جابر بن زيد ولا زيد بن علي ، إنه القرآن الكريم، ينقل الأحداث والتحذيرات وتسجيل الوقائع ونحن نتكبر.

صنعنا لنا مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، سميناهم نحن ،الصحابه/ السلف الصالح/ القرون المفضلة/ ..الخ.

هذه ليست لغة القرآن، هذه لغتنا نحن، هذه لغتنا التي أخذناها من الجاهليين ونشرب إن وردنا الماء صفواً... ويشرب غيرنا كدراً وطيناً!.. هذه لغة الجاهليين ونفسياتهم التي نتكبر بها، الشيطان أعاد إنتاج الجاهلية في ثوب إسلامي مزركش مزين، فاتبعناه.. لأنه يحقق شيئاً من رغباتنا الأولى..

الفخر...والكبر...وكل التزكيات الجاهلة.

هل يعاقبنا الله من القرن الأول إلى اليوم ؟ - الجزء الثاني .

السؤال:

متى نتواضع؟

متى نفر للقرآن بتسجيله للأحداث؟

متى نجعل الله أصدق من كتاب المغازي والسير والمناقب والفتوح؟

هل نستحق النصر؟

وما هو؟

هل النصر هو النصر العسكري؟

حسناً.. فالمغول والبريطانيون أكثر نصراً منا، وفتوحاتهم أعظم، فهل هو النصر الذي يريده الله؟.. نصر بالظلم والاستعباد؟!

والسؤال:

هل آن الأوان لنقر بأن البلاء أتانا من قديم، وقد سجله الله والنبي مازال حياً يرزق، ووبخ الصحابة في أكثر من موطن وأكثر من حادثة.

إذا كان الصحابة -أو الجيل الأول، أو القرون المفضلة - أحب إلينا وأملأ لقلوبنا من الله ورسوله فلننتظر النصر إذأ، فالإملاء مرة ولن نتكرر.

والغريب أن القرآن والسنة ووقائع التاريخ كلها متفقة على هذا، أن البلاء قديم، ومن بعد النبي تكثف ذلك البلاء، والأحاديث على ذلك كثيرة جداً.

إذا لم نتواضع ونعترف بذلك المرض القديم، فسيصبح المرض ديناً، سيصبح النفاق والفسوق والظلم ديناً ندين الله به كما هو حصل، والنتيجة ما ترونه.

النتيجة ما هي؟

كراهية ..بذاعة ..جهل ..شتم ..قتل ..ظلم ..كبر ..فخر ..استبداد ..مآسي ..تخلف ..هل أزيد؟!

ماذا تنتظرون؟

هل تريدون رفعها كلها دفعة واحدة؟

يمكن ..ولكن هذا الرفع يحتاج لقوة قلب في الاعتراف الكبير الذي يوازي هذا الركام الكبير .الاعتراف الخجول القليل الذي يبقى على تحسين المظالم لا يجدي .التوبة لله تكون صادقة، وبندم كامل على أننا خدعنا أنفسنا، وعبدنا السلف والصحابة وهجرنا القرآن، وأهملنا الحديث الصحيح الذي يشبه القرآن .هذا الندم يمكّننا أن نتحول إلى أمة تستحق رفع البلاء عنها , تستحق العلم والنماء والسلم والمعرفة ومكارم الأخلاق.

لكن، البلاء الأول ما زال ينتج، لابد أن نتوقف عن ضرب القرآن بعضه ببعض ,فنجعل ثناء القرآن لأهله، وذم القرآن لأهله، وعتاب القرآن لأهله .أما أن نجعل الذم عتياً أو نخفيه فخيانة، لابد أن نتوقف عن ضرب القرآن بالسنة، وضرب السنة الصحيحة بالسنة المظنونة والضعيفة، لابد من أخذ القرآن كله ونصده كله ...ونأخذ صحيح السنة كله ...ضرب القرآن بعضه ببعض ... وضرب القرآن بالسنة ...وضرب السنة بالسنة ...وضرب النص بالرأي ...وضرب الحق بالشبهة، لا يمكن أن يأتي معها نصر أبداً.

قبل أيام عندما عرضنا الآية **(هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ)** (لم يصدقها أحد، وسارعوا في الرد عليها بالعقائد. عبدة الجيل الأول لا يتركونك تكمل فكرة، كأنهم إلى نصب يوفضون ...

يسارعون في الكفر بالآيات كما سارع بعض ذلك الجيل.

يردون بماذا؟

بأقوال موروثة، هذا البلاء لا تظنونه هيناً، هو داء كبير جداً، تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، فالقرآن عند بعض الناس لا يرقى لمستوى قول فلان أو فلان.

والسؤال:

متى نصحو؟ ...!فإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإذا كانت النفوس ممثلة بحب من تسبب في إهدار هذا الهدى فكيف نطمع بالنصر؟!

هل تريدون الأحاديث؟

حتى الأحاديث متواترها يحمل الجيل الأول - الصحابة تحديداً - مسؤولية التبديل في الدين والإحداث في دين الله ما ليس منه، فمثلاً:

الحديث الأول

حديث الصحيحين (فأقول أصحابي أصحابي؟! فيقول إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ! فأقول كما قال العبد الصالح { وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - الحكيم. })

هذا الحديث يتفق مع الواقع الذين نقله القرآن، كأن الله يؤرخ حتى لما داخل الصدور، فكانت هذه النتيجة طبيعية جداً.

إذا أنت قرأت القرآن بلا أفكار مسبقة ستري أن الفئات المعادة - أو الشاكة المترددة أو التي تؤمن حيناً وتكفر آخر - ستري أنها أغلبية، (وقليل من عبادي الشكور)، والشكر غاية فوق التقوى / والتقوى غاية فوق العبادة، فلذلك ارتبطت غاية الشكر بأية الانقلاب وهي:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (١٤٤) ((سورة آل عمران])

فالشاكرون هنا هم المفعولون لنعم الله عليهم، من سمع وبصر وأفندة... هم الضابطون لأنفسهم على الحق والنص، وهؤلاء من طبيعتهم قليل، والشكر عملي وليس مجرد لفظ (..اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور)

فافهموا.. فالشكر عمل، توظيف لنعم الله بتفعلها، وهذا قد حذر الله منه المؤمنين كثيراً. وسجل عليهم مخالفات في هذا الشأن، مثل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] ((25) سورة الأنفال]

هذه التحذيرات عند عبدة الجيل الأول لا داعي لها، فهم أكمل من أن يقعوا، عبدة الصحابة والجيل الأول يرون - دون نطق ولكنه اعتقاد باطن قد لا يشعرون به - يرون أن الله يبالغ في التحذير، وإلا فهذه بعيدة جداً عنهم.

سنكمل في الحديث، ونبدأ من الصحيح المتفق على صحته، الذي يوافق القرآن وتدعمه النتائج على الأرض والتراث والنفسيات. فمن الأحاديث أيضاً ما يلي:

الحديث الثاني

في صحيح البخاري (عن أسامة، أشرف النبي - صلى الله عليه وسلم - على أطعم من المدينة، فقال « : هل ترون ما أرى » ؟ قالوا: لا، قال: « فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتْنَةَ تَفْعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ .) . »

هذه البيوت التي رآها النبي هي بيوت الصحابة بالمدينة، وليست بالكوفة والبصرة .. ويشهد لها حديث (لتتبعن سنن من كان قبلكم) .. وهو الثالث.

الحديث الثالث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ] ((البخارى.. ك.. أحاديث الأنبياء.]

لم يقل سيأتي بعدي جيل يتبعون سنن من كان قبلكم..

كلا.. النبي أفصح من نطق بالضاد ،خاطب الصحابة، قال (لتتبعن) أنتم.. بالضمير المخاطب.

الحديث الرابع

وفي موطأ مالك في حديث التبديل، ((أن رسول الله قال لشهداء أحد: هؤلاء اشهد عليهم ! فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا؟ وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله: بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي !! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: أنا لكانتون بعدك؟))

عباد الصحابة والسلف والقرون المفضلة سيقولون: بل الذين بقوا بعد النبي أكد من شهداء أحد/ وخاتمتهم معروفة، والنبي يعرف أنهم سيدخلون الجنة

الحديث الخامس

مسند أحمد بن حنبل [جزء ٣ - ٤٨٩] بسند صحيح عندهم، (عن أبي مويهبة مولى رسول الله قال: بعثني رسول الله من جوف الليل، فقال يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحت فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى !! قال ثم أقبل علي فقال: يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزان الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنة، قال قلت بأبي وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي عز وجل والجنة، ثم أستغفر لأهل البقيع ثم انصرف، فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه حين أصبح (اهـ).

يا ترى ماذا أصبح الناس فيه؟

تأملوا .. أعني عندما هنا النبي أهل البقيع مما قد أصبح الناس فيه.. ألا تتذكرون حديث أسامة والفتن التي تنزل على بيوتهم؟

أليس هذا هو الإحداث والتبديل؟

أما عباد الصحابة والجيل الأول والقرون المفضلة وأهل الفتوح فيقولون - بالقلب لا اللفظ - هنيئاً لمن بقي بعد النبي، وأما أهل البقيع فلم يدركوا شرف الفتوحات التي وصلنا فيها إلى كذا وكذا..

هم جاهليون .. قلوب جاهلية تعاند النصوص وتعبد التاريخ والأشخاص..

كبر.. وفخر..

النبي يهنيء أهل البقيع في آخر حياته لنجاتهم من فتن ستأتي كقطع الليل المظلم، وقبلها يشهد لأهل أحد ... بينما معاندو النصوص يقولون: (كلام فارغ)!! فعندهم أن الفتن إنما أتت بعد عقود من الزمان، رغم أنه صرح لأبي بكر في بعض ألفاظ الحديث - (إنني لا أدري ما تحدثون بعدي)، عند هؤلاء هو يدري!

الحديث السادس مسند أحمد بن حنبل ((26 / 6) - حديث عوف بن مالك الأشجعي أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم فنظر في السماء، ثم قال هذا إوان العلم ان يرفع ! فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله؟ وقد علمناه أبناءنا ونساءنا فقال رسول الله: ان كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين وعندهما ما عندهما من كتاب الله (.. الحديث وصححه الارناؤوط).

هنا النبي يتحدث أنه قد رفع العلم في تلك الليلة، عند دنو أجله، وأن الفتن قد أتت، ولا علم فيها، إنما شبه وأهواء، ولكن عبدة الجيل الأول يقولون بحجة زياد بن لبيد، معنا القرآن والسنة والصحابة والتابعون والعلوم كلها، فهذا النص النبوي مما يكذبون به ويروونه.

وفي صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة) عن رسول الله أنه قال : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا يظهر النفاق وترفع الأمانة وتقبض الرحمة ويؤتمن غير الأمين أناخ بكم الشرف الجون (قالوا : وما الشرف الجون يا رسول الله قال : (فتن كقطع الليل المظلم).

فالحديث يتحدث عن ظهور النفاق بعده (يظهر النفاق)، فهل كان خافياً في عهده؟!!

ربما المراد غلبته، ومن معاني الغلبة الظهور، كما في الآية (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين). (فالظهور من معاني الغلبة .. كما قال الشاعر الهبل (وبدا هناك للنفاق نفاقٌ) أي ظهور.

الحديث السابع

عند الحاكم وصححه من طريق أبي هريرة (ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم)

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه.

عبدة الجيل الأول يقولون : لا.. ليس هناك فرق بين عهد النبي وعهد أبي بكر وعمر... يجب ألا يموتوا ... ليس هناك من فتن ولا رفع علم ولا شيء..

الحديث الثامن

في صحيح البخاري من طريق عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله ص وأله، تلى أحد بعد ثمانين سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع إلى المنبر فقال (إني بين أيديكم فرط وإني عليكم لشهيد وإن موعدكم حوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا وتنافسوها (قال : فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (اهـ.

قلت: لكن عبدة الجيل لا يخشون عليهم هذا، يعني أن النبي ص وأله كانت خشيته في غير محلها، فلا فتن ولا دنيا، ولا رفع علم، ولا تغيير وتبديل بعده، ولا نقص شيء البتة ! فهذا كله لا داعي له .

الحديث التاسع

عند أحمد والترمذي من طريق الزبير بن العوام (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَهِيَ الْحَالِقَةُ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ : تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا تَتَحَابُّونَ بِهِ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) اهـ. والحديث يصحونه .. ولكن لا يفهمونه .. فالحديث يثبت أنه دب إلى الصحابة داء الأمم (الحسد و البغضاء)، وهنا عرفنا أسباب (الفتن النازلة) التي نجا منها أهل البقية وشهداء أحد .

وهؤلاء العبدة يقولون: كلا، لم يأت الصحابة الحسد ولا البغضاء، بل كانوا على قلب رجل واحد.. متحابون لا تهمهم الدنيا، علماء لم يرفع العلم.. الخ.

والأمر الثاني - الذي لم يفهموه - هو (إفشاء السلام)، هم يفسرونه بتحية السلام، بينما المعنى أفشوا بينكم السلم، فيأمن بعضكم بعضاً وتتحابون.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] ((208) سورة البقرة]

فالشيطان يختصر الأمر القرآني والنبوي في أقل المعاني أثراً .. حول محبة السلم والأمن إلى لفظ فقط، كما حول الذكر إلى لفظ، والشكر إلى لفظ، فالشيطان اختصر الأعمال إلى ألفاظ، حتى "لا إله إلا الله" جعلها لفظاً، ونحن نعبد عن طريق عبادة السلف الصالح ..

السلم لو تم إفشاؤه لتحاب الناس.

الحديث العاشر

وهو- الحديث - صارخ وصادم جداً !

في صحيح مسلم (- (ج ٤ / ص ١٧٨٩) (مثلي كمثلي رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيتقحمن فيها، فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحمون فيها.)

الحديث من رواية أبي هريرة في صحيح مسلم/ وهو يشبه حديث الحوض (أصحابي أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك) لأن في بعض ألفاظه (إلى النار).

عبد الصحابة والجيل الأول والقرون المفضلة والفتوحات الإسلامية يقولون: لا، لن يتهافتوا في النار معاذ الله! فهؤلاء كلهم عدول أخيار صالحون ..! بعضهم قد يقول: إنما المراد به أناس يأتون بعدهم... يقال له (الضمير هنا لمخاطبين) ...مثل (لتتبعن سنن من كان قبلكم) ...لم يقل سيأتي أناس يتهافتون! ثم الحديث السابق عن أبي هريرة في صحيح مسلم.

الحديث الحادي عشر

في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله شاهد له، ولفظه (صحيح مسلم (٤ / ١٧٩٠). (مثلي ومثلكم كمثلي رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها وهو بذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي).

فهذا عجب! وهذا لا يعني التعميم أيضاً، مثلما الثناء لا يعمم، والذم لا يعمم، لكن بعض الصحابة ينجو وقد تخسر الأثرية لوجود مثل هذا الحديث، ولحديث البخاري، فحديث البخاري في صحيحه عن أبي هريرة يشير بوضوح إلى هلاك أكثر الصحابة، وهذا لفظه (صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٤٠٧) (بيننا أنا نائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ... فقلت: أين ؟ ... قال: إلى النار والله... قلت: وما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (اهـ).

فلفظه البخاري هذه (همل النعم) خطيرة جداً، ومعناها لا ينجو منكم إلا القليل! لكن عبدة الصحابة يقولون لا، سينجون كلهم، لأن عندنا أحاديث أضعف وأقل في أنهم كلهم أجمعين في الجنة، ولا نأخذ من القرآن إلا آيات مدح نعممها. فإذا رأيت الآيات التي يستدلون بها فإذا هي ليست صريحة، والآيات في الذم أكثر وأدل، والأحاديث في هلاك الأثرية أكثر وأدل، مع حواضن القرآن، وأقصد بحواضن القرآن أن هذه طبيعة الأنبياء، لا يؤمن معهم إلا قليل، حتى لو آمن كثير فإنهم يتقهقرون كما فعل أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام. والنتيجة التي خلفها لما الصحابة قرينة على ذلك، فإن للقرآن ثقافة وسمات، ولنا تهم الثقافي ثقافة وسمات أخرى!!

فقارنوا بينهما بعلم.

قارنوا مثلاً (آيات الله) في الأنفس والافاق.. بين الثقافة القرآنية والثقافة الصحابية .

قارنوا الإخبات والقلوب والحس والعقل .

ثقافتان متضادتان.

الثقافة القرآنية معرفة وقلب وعقل وتفكر وشكر تفعيل وعالمية ..الخ، وأما ثقافة الناتج الصحابي فهي ثقافتنا اليوم تقريباً، وسنقارن لاحقاً، وليس كل الصحابة ...

نكرر لا نعمم.

لكن الثقافة التي نصرتها السلطات - على الأقل - هي ثقافة الأثرية، بينما العلم لا يكون إلا في الأقلية غالباً، ولذلك وجدنا بعض الصحابة - كسلمان الفارسي مثلاً - يقول (ما مات النبي حتى ما ترك لنا طيراً يطير في السماء إلا ذكر لنا منه علماً) هذا أولى.

وهذا التصحيح مني لهذا الأثر ليس عن هوى، وإنما لأن النبي ثقافته القرآن والقرآن مليء بالأمر بالنظر في مخلوقات الله.. فكيف يخالفه النبي؟

فالحواضن القرآنية تصحح أن يموت النبي ص وآله تفكر في الكون، وأخبر ببعض المعلومات، لأنه يتبع ما أوحى إليه، ولا بد له من أحاديث فيها.. فأين هي؟!

الجواب: أن الشيطان أطفأ الأنوار عن طريق الأثرية - صحابة كانت أو تابعية - فجعل همتهم في التفصيل والتفريع مع ترك وهجر منابع النور ثم التنازع.

حديث النّوأس بن سمعان وغيره مرفوعاً (وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَنَابَةَ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :مَالِي أَرَاكُمْ تَتَهَفَّتُونَ فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَهَفَّتُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ ! أَلَا إِنَّ كُلَّ كَذِبٍ مَكْتُوبٌ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : كَذِبُ الرَّجُلِ أَمْرَاتِهِ لِيَرْضِيَهَا ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) (سورة النساء آية ١١٤)).

هؤلاء يقولون: كلا!..

وحواضن هذا الحديث القرآنية والحديثية كثيرة جداً، فالكذب في الصحابة كما هو في غيرهم، فيهم الصادق والكاذب، وهذا طبيعي ، وفيهم (سماعون للكذب).

وحديث خوف النبي ص وآله من الأئمة المضلين (بعده) شبه متواتر، من أحاديث كعب بن عجرة وابن عمر وأبي هريرة وعبادة بن الصامت وأبي سعيد.. الخ. أحمد في المسند والطبراني عن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنها ستكون عليكم أمراء من بعدي يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم وقلوبهم أنتن من الجيف."

فذكر الحديث. وصححه الهيثمي والالباني والأرنؤوط وغيرهم كثير.

من هم هؤلاء الأئمة الذين حذر منهم النبي ص وآله وأخبر أنهم سيأتون بعده وأنهم على المنابر حكماء لكن قلوبهم أنتن من الجيف؟

هل هم، الخلفاء أو ولاتهم على البلدان أم كل هؤلاء؟

وهل كل الخلفاء بعده أم جلهم؟

ولماذا كان يخشى علينا منهم أكثر من الدجال؟! الخ

هذه الأحاديث كثيرة جداً - أعني في الأئمة المضلين - فهذه هي الأحاديث التي يهرب إليها عبدة القرون المفضلة، ويتركون القرآن، فأين سيهربون؟!

ثم يقولون : كلا... ليس هناك أئمة مضلون بعد النبي صلوات الله وآله، وإنما خلفاء وصالحون وراشدون وفاتحون... حتى معاوية والحجاج ويزيد بروؤهم.

بل في مسند أحمد بن حنبل - (ج ٦ / ٤٤١) عن أبي الدرداء قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون).

فهو أخوف ما يخالفه على الصحابة أنفسهم قبلنا هو (وجود أئمة مضلين)، الحديث شبه متواتر، فماذا يقولون فيه؟

اسألوهم.. هم يكفرون بهذا الحديث.

أظن أنني أطلت عليكم ولم أستعرض إلا القليل جداً من الآيات والأحاديث الصحيحة بشروطهم التي يخفونها عليكم عبدة الجيل الأول، والواجب تفعيلها..

كل الآيات تفعل..

كل الأحاديث الصحيحة تفعل..

ثم نقدم الأقوى عند الجمع، ونحاول أن نعرف من أين أتانا البلاء، البلاء قديم جداً والنصوص شاهدة، لا يجوز تقديم رأي مثل (الله اختارهم)، لا يجوز تحميل الله المسؤولية.. ولا ضرب كل نصوص القرآن والسنة برأي مذهبي وهوى وتزيين شيطاني.